العوامل المؤثرة في لزوم الجماعة وعدم الافتراق

فهد بن عايد حامد الجهني

أستاذ مشارك

جامعة الباحة - كلية العلوم والآداب الإنسانية بالمخوة

الدراسات الإسلامية - تخصص العقيدة

مستخلص. يعنى هذا البحث بذكر العوامل المؤثرة في توجيه الجماعة المسلمة للوحدة والاجتماع، والالتفاف حول ولاية الأمور، والبعد عن الافتراق ومنازعة الأمر أهله الصالحين، ويمكن إجمال هدف البحث في تهيئة جانب عملي تطبيقي له التأثير الإيجابي في تحقيق الاجتماع والبعد عن الافتراق، وبيان خطورة الاجتهادات الفردية المتسببة في شق صفوف الأمة، وقد استخدم الباحث في هذا البحث المنهج الوصفي التحليلي، وأهم نتائج البحث: أن لزوم الجماعة وعدم التفرق عنها مما أمر به الشارع، وجعله مقصداً من مقاصد شرعه، وثبوت تأثير العوامل الخارجية في توجيه الأمة إلى الوحدة ونبذ الفرقة، وأهم التوصيات: التوصية بانعقاد الندوات والمؤتمرات التي يتداول من خلالها البحث عن حلول ناجعة تحقق للأمة وحدتها وتحافظ على كيانها. كلمات مفتاحية: الأسباب - المؤثرة - الوحدة - الفرقة.

المقدمة

الحمد لله الواحد الأحد، جامع الناس يوم الحساب، والصلاة والسلام على محمد الذي أرسله رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فإن الشارع أمر بلزوم الجماعة وعدم التفرق؛ فقال:

﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران:

١٠٣]، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بُيِّنَ

لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النساء: ١١٥]،

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا لَسْتَ مِنْهُمْ

فِي شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٥٩].

وقال ﷺ: ((ستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة، كلها في

النار إلا واحدة، ألا وهي الجماعة)) (١).

وقال ﷺ في حديث حذيفة بن اليمان ﷺ: ((... تلزم جماعة المسلمين))^(١)، وقال ﷺ: ((من رأى من أميره شيئا يكرهه فليصبر، فإنه من فارق الجماعة شبرا، فمات ميتة الجاهلية))^(٢)، وفي رواية: ((فقد خلع ربة الإسلام من عنقه))^(٣).

وقال العرياض بن سارية ﷺ، في حديثه: ((وعظنا رسول الله ﷺ موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب؛ فقال قائل: يا رسول الله كأن هذه موعظة مودع؛ فماذا تعهد إلينا؟ فقال: أوصيكم بالسمع والطاعة؛ فإنه من يعيش منكم بعدي، فسرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، تمسكوا بها وعصوا عليها بالنواجز، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة))^(٤).

وخطب عمر بن الخطاب ﷺ بالجابية فقال: أيها الناس إني قمت فيكم كمقام رسول الله ﷺ فقال: أوصيكم بأصحابي ثم الذين يلونهم، إلى أن قال: عليكم بالجماعة وإياكم والفرقة، فإن الشيطان مع الواحد، وهو مع الاثنين أبعد))^(٥).

ومع وضوح هذه النصوص الدالة على هذا الأصل العظيم في الاجتماع وعدم التفرق، إلا أن الأمة حلّ بها ما حلّ بالأمم السابقة، كما أخبر النبي ﷺ من التفرق والاختلاف والتنازع بإتباع سنن من كان قبلهم من الأمم السابقة، وبعد إدراك العواقب المتعلقة بالمصالح والمفاسد في تأويل أو تبرير الخروج والانحياز عن جماعة المسلمين، مما كان له أعظم الأثر في عدم اتخاذ الأمة دورها الحقيقي بين الأمم.

ومع هذا، إلا أن هناك عوامل خارجية تعتبر من السنن الإلهية في

توجيه الأمة إلى الوحدة والاجتماع، وهي ما سوف نلقي عليه الضوء بإذن الله تعالى في هذا البحث الذي وسم بعنوان (العوامل المؤثرة في لزوم الجماعة وعدم الافتراق).

أهمية الموضوع:

ترجع أهمية هذا الموضوع إلى عدة أمور، منها:

١. كونه يبيّن العوامل المؤثرة في توجيه الجماعة المسلمة للوحدة والاجتماع.
٢. كونه موضوعاً تَمَسُّ إليه حاجة العصر، وحال الأمة.
٣. أنه يُبرز دور المجدد وولاة الأمور والرحمة والرفق والمجالس والهيئات العلمية في وحدة الأمة.

أسباب اختيار الموضوع:

تتجلى تلك الأسباب في أمور، منها:

١. رغبتني في تهئية جانب عملي وتطبيقي له آثاره الإيجابية في تحقيق الاجتماع وعدم الافتراق.
٢. بيان خطورة الاجتهادات الفردية وآثارها في تفريق الجماعة المسلمة.

٣. تعظيم المسائل المتعلقة بالجماعة، كالنوازل والتبديع والتضليل ورد الحكم فيها للمجالس العلمية المعتمدة شرعاً، كاللجنة الدائمة للإفتاء.

خطة البحث:

يتكون هذا البحث من: مقدمة، ومبحثين، وخاتمة.

المقدمة: تشتمل على أهمية الموضوع وأسباب اختياره، وخطة البحث.

المبحث الأول: مفهوم الجماعة والأصل في وحدتها واجتماعها، وفيه مطلبان:

(٤) أخرجه: أبو داود برقم (٤٦٠٧)، وصححه الألباني في إرواء الغليل برقم

(٢٤٥٥).

(٥) أخرجه: الترمذي برقم (٢١٦٥)، وصححه الألباني في إرواء الغليل برقم

(١٨١٣).

(١) أخرجه: البخاري برقم (٧٠٨٤)، ومسلم برقم (٥١).

(٢) أخرجه: البخاري برقم (٧٠٥٤)، ومسلم برقم (٥٥).

(٣) أخرجه: أبو داود برقم (٤٧٥٨)، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير

برقم (٦٤١٠).

وضدها الفرقة، وإن كان لفظ الجماعة قد صار اسماً لنفس القوم المجتمعين^(٢).

الجماعة في الشرع:

جاءت الجماعة في النصوص الشرعية بالمعنى اللغوي؛ أي: في مقابلة التفرق والتنازع، إلا أن مجموع النصوص الشرعية من الآيات، والأحاديث الواردة في الحث على الاعتصام وملازمة الجماعة، والنهي عن الفرقة والاختلاف والتحزب في الدين، جعلت لجماعة المسلمين معنى شرعياً خاصاً.

وقد تعددت أقوال السلف والعلماء في تحديد ذلك المعنى المأخوذ من دلالات تلك النصوص، وجاء تعريف الجماعة عند أهل السنة والجماعة باعتبار ورودها بالسنة على عدة معانٍ^(٣):

المعنى الأول: أن المقصود بالجماعة: الصحابة رضي الله عنهم على وجه الخصوص، ولا يُتصوّر اجتماعهم على ضلالةٍ - أصلاً - بخلاف غيرهم، وهذا المعنى ورد في السنة في قوله ﷺ حين سئل عن الجماعة: ((ما أنا عليه وأصحابي))^(٤)؛ وقال ﷺ: ((فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين))^(٥)، فهم أعلم الناس بمراد الله ومراد رسوله ﷺ؛ فكلُّ مَنْ خالف منهم فهم فقد اتبع غير سبيل المؤمنين؛ ولذلك لو اجتمع الناس على بدعة؛ فقد خرجوا من مسمى الجماعة على الوجه الشرعي.

المعنى الثاني: أنها جماعة أئمة العلماء المجتهدين المقتدين بهدي رسول الله ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم، بل إن بعض أهل العلم فسّر الجماعة بشخصٍ أو شخصين لما هم عليه من الحق.

قال الإمام الترمذي رحمته الله: "سمعت الجارود بن معاذ يقول: سمعت علي بن الحسن يقول: سألت عبد الله بن المبارك عن الجماعة؟ فقال: أبو بكر وعمر. قيل له: قد مات أبو بكر وعمر!

المطلب الأول: مفهوم الجماعة في اللغة والشرع.

المطلب الثاني: الأصل في وحدة الجماعة واجتماعها.

المبحث الثاني: الأدوار المؤثرة في توجيه الجماعة المسلمة للوحدة والاجتماع، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: دور المجدد في توجيه الجماعة المسلمة للوحدة والاجتماع.

المطلب الثاني: دور ولاية الأمور في توجيه الجماعة المسلمة للوحدة والاجتماع.

المطلب الثالث: دور الرحمة والرفق في وحدة الجماعة واجتماعها.

المطلب الرابع: دور المجالس والهيئات العلمية في وحدة الجماعة المسلمة.

الخاتمة.

فهرس المصادر والمراجع، وفهرس الموضوعات.

المبحث الأول:

مفهوم الجماعة والأصل في وحدتها واجتماعها

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مفهوم الجماعة في اللغة والشرع.

الجماعة لغة:

مأخوذة من الاجتماع، وهو ضدُّ التفرُّق، يقال: جمع الشيء عن تفرقة فاجتمع، وجمعت الشيء إذا جئت به من هاهنا وهاهنا، وأجمع أمره أي: جعله جميعاً بعدما كان متفرقاً، وقد تستعمل الجماعة في غير الناس، حتى قالوا: جماعة الشجر، وجماعة النبات^(١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: "الجماعة هي الاجتماع،

(١) ينظر: لسان العرب لابن منظور (٥٣/٨).

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية (١٥٧/٣).

(٣) ينظر: الاعتصام للشاطبي (٢٦٠/٢).

(٤) أخرجه: الترمذي برقم (٢٦٤١)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع برقم

(٥٣٤٣).

(٥) أخرجه: أبو داود برقم (٤٦٠٧)، والترمذي برقم (٢٦٧٦)، وصححه ابن

الملقن في البدر المنير (٥٨٢/٩).

قال: فلان وفلان، قيل له: قد مات فلان وفلان، فقال عبد الله بن المبارك: وأبو حمزة الشُّكْرِيُّ جماعةٌ، قال الترمذي: وأبو حمزة: هو محمد بن ميمون، وكان شيخاً صالحاً، وإنَّما قال هذا في حياته عندنا^(١).

المعنى الثالث: أنهم السَّواد الأعظم من أهل الإسلام.

وهذا المعنى وإن كان مطلقاً إلا أنه مقيد، كما دلَّ عليه قول أبي غالب رحمته الله: "إن السَّواد الأعظم هم: الناجون من الفرق؛ فما كانوا عليه من أمر دينهم فهو الحق، ومن خالفهم مات ميتة الجاهلية، سواء خالفهم في شيء من الشريعة، أو في إمامهم وسلطانهم فهو مخالف للحق"^(٢).

وهذا القول المفسر بهذا المعنى يدلُّ على أن هذا السَّواد الأعظم متصف بصفات أخرجته من الفرق الضالة، وهو اجتماعهم على الحق في أصول دينهم وعلى إمامهم وسلطانهم، كما أرشد إليه النبي صلوات الله عليه في ذلك عند الفتن والاختلاف.

ولهذا لما قُتِلَ عثمان سئل أبو مسعود الأنصاري رضي الله عنه عن الفتن؛ فقال: "عليك بالجماعة؛ فإن الله لم يكن ليجمع أمة محمد صلوات الله عليه على ضلالة، واصبر حتى يستريح برّ، أو يستراح من فاجر، وقال: إياك من الفرقة فإن الفرقة هي الضلالة"^(٣).

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: «يا أيها الناس، عليكم بالطاعة والجماعة، فإنها جبل الله الذي أمر به، وما تكرهون في الجماعة خير مما تحبون في الفرقة»^(٤).

المعنى الرابع: أن الجماعة هي جماعة أهل الإسلام، إذا أجمعوا على أمرٍ، فواجب على غيرهم اتباعهم.

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلوات الله عليه، يقول: «إن أمتي لا تجتمع على ضلالة، فإذا رأيتم اختلافاً فعليكم

بالسَّواد الأعظم»^(٥).

المعنى الخامس: ما اختاره الإمام الطبري: أن الجماعة جماعة المسلمين وهو يرجع إلى المعنى الثالث.

ومن أمعن النظر في تلك الأقوال وجد أن الاختلاف بينها اختلاف تنوع لا تضاد؛ فكل صاحب قول فسّر الجماعة ببعض معناها، أو بفردٍ من أفراد مدلولها، تمثيلاً لا حصراً وإحاطة، وهذه عادةٌ معروفة للسلف في تفسير الألفاظ^(٦).

وهذه المعاني من حيث الأصل ترجع إلى معنى واحد في الشرع، وهو: أن الجماعة اتباع ما كان عليه النبي صلوات الله عليه وأصحابه الكرام رضي الله عنهم اعتقاداً ودعوةً وسلوكاً.

ومن هذا التعريف يتبين أن متعلق الجماعة لا يرتبط بالأشخاص بقدر ما هو منهجٌ وطريقةٌ قائمة بالكتاب والسنة بفهم سلف الأمة، من أصحاب رسول الله صلوات الله عليه ومن سار على نهجهم من أئمة المسلمين.

وعلى هذا فكل من خرج عن هذا المنهج؛ فهو خارج عن جماعة المسلمين، وبقدر بُعْده وقُرْبِه من منهج النبي صلوات الله عليه وأصحابه الكرام رضي الله عنهم يقترب ويتعد من جماعة المسلمين.

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: "الجماعة ما وافق الحق، وإن كنت وحدك"^(٧)، وقال نعيم بن حَمَاد رحمته الله: "إذا فسدت الجماعة؛ فعليكم بما كانت عليه قبل أن تفسد وإن كنت وحدك؛ فإنَّك الجماعة حينئذٍ"^(٨)، وقال أبو شامة المقدسي رحمته الله: "حيث جاء الأمر بلزوم الجماعة؛ فالمراد به لزوم الحق واتباعه، وإن كان المستمسك به قليلاً، والمخالف كثيراً"^(٩).

وقد أشار القاضي أبو بكر بن العربي رحمته الله إلى ذلك؛ حيث قال: "قوله: عليكم بالجماعة يحتمل معنيين، الأول: أن الأمة إذا

(١) سنن الترمذي (٤/٤٦٦).

(٢) الاعتصام للشاطبي (٢/٧٧٠).

(٣) الاعتصام للشاطبي (٢/٧٧٠).

(٤) أخرجه: الأجرى في الشريعة برقم (١٧).

(٥) أخرجه: ابن ماجه برقم (٣٩٥٠)، وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة برقم

(٢٨٩٦).

(٦) الصواعق المرسلة على الجهمية والمعتلة لابن القيم (٢/٦٩٩).

(٧) إغاثة اللفهان من مصائد الشيطان، لابن القيم (ص ٧٠).

(٨) تاريخ دمشق، لابن عساكر (٤٦/٤٠٩).

(٩) إغاثة اللفهان لابن القيم (ص ٦٩).

وَأَطَعْنَا وَأُوتِيتُكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ [النور: ٥١].

وعلى هذا، فإن أعظم الأسباب التي ساقته الأمة الإسلامية إلى التفرق والتحزب واتخاذ جماعات متعدّدة بأهواء مختلفة: عدم التسلم والإذعان لما اختاره الله ورسوله ﷺ لهم، خاصة في المسائل المتعلقة بعلاقة الحاكم بالمحكوم والمحكوم بالحاكم، التي هي من أعظم الأسباب الموجبة للتنازع والاختلاف وسفك الدماء وانتهاك الأعراض، ممّا تسمى في العصر الحديث بمسائل السياسية، مع أنها مسألة يُحال - عقلاً وشرعاً - أن تترك دون بيان وتوضيح من الشّارع الحكيم.

فكيف يعقل أن تُبين المسائل المتعلقة بالأداب العامة والخاصة: من أكلٍ وشربٍ ونكاحٍ وقضاء حاجة ونحو ذلك، وتترك هذه المسألة دون بيان، والتي تعتبر من أصول أهل السنة والجماعة. قال ﷺ: ((إنه لم يكن نبّي قبلي إلا كان حقاً عليه أن يدلّ أمته على خير ما يعلمه لهم، ويُذيرهم شرّ ما يعلمه لهم))^(١).

وقال أبو ذرٍّ رضي الله عنه: "لقد توفي رسول الله ﷺ وما طائر يُقَلِّب جناحيه في السّماء إلا ذكر لنا منه علماً"^(٢).

فالمسألة لا تتعلق بالنصوص ولا دلالتها أو عدم ثبوتها؛ فالنصوص ثابتة ودلالتها واضحة بيّنة على لزوم جماعة المسلمين، والسمع والطاعة لولاة أمورهم وعدم الخروج عليهم، وإن جاروا أو ظلموا؛ لما يترتب على ذلك من مفساد عظيمة، وعواقب وخيمة، من ذلك ما روى أبو هريرة رضي الله عنه: قال: قال رسول الله ﷺ: ((إن الله يرضى لكم ثلاثاً، ويسخط لكم ثلاثاً: يرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا، وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم))^(٣).

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ:

أجمعت على قول؛ فلا يجوز لمن بعدهم أن يُحدث قولاً آخر، الثاني: إذا اجتمعوا على إمامٍ فلا تحلّ منازعته ولا خلعه^(١). والمعنى الذي يتلاءم مع هذا البحث: هو الاجتماع على الحق الذي جاء به مُحَمَّدٌ ﷺ اعتقاداً وقولاً وعملاً.

المطلب الثاني: الأصل في وحدة الجماعة واجتماعها.

الأصل أنه يجب على كلّ مسلم الإذعان والتسليم والانقياد لنصوص الوحيين بكل طمأنينة ورضاً، وعدم معارضتهما لرأي أو هوى، أو تقديم قول أحدٍ كائناً من كان، على قول الله وقول رسوله ﷺ.

فهذا الأصل العظيم القائم على الرضا والتسليم، من أعظم الأصول المتعلقة بوحدة الأمة الإسلامية، ولقد ضرب لنا أصحاب رسول الله ﷺ النّمودج الأعلى فيه بأساليب عدّة، تعكس مدى تجرّد أصحاب رسول الله ﷺ ممّا يعلق بالنفوس: من هوى أو كبر أو أنفة أو ضغينة موجبة لعدم التسليم والإذعان.

وكانوا ﷺ بهذا التسليم والإذعان متماسكين مجتمعين غير متنافرين ولا مختلفين؛ فصاروا بذلك مثلاً تطبيقياً لقوله تعالى:

﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٥١].

وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا

﴿[الأحزاب: ٣٦]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ

الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا

(١) عارضة الأحوذى شرح جامع الترمذي لابن العربي (١٠/٩).

(٢) أخرجه: مسلم برقم (١٨٤٤).

(٣) أخرجه: الإمام أحمد في المسند برقم (٢١٣٦١)، وقال ابن حجر في

المطالب العالية (١٥/٦٣٠): رواه ثقات.

(٤) أخرجه: الإمام أحمد في المسند برقم (٨٧٩٩)، وصححه الألباني في صحيح

الجامع الصغير برقم (١٨٩٥).

الله ﷺ وأذن لها وسلم لمدلولها حين قال رسول الله ﷺ: ((إنكم ستجدون أثراً شديداً؛ فاصبروا حتى تلقوا الله ورسوله، فإنني على الحوض))^(٦)، فهو وإن كان ذلاً، لكنه في مقام العز؛ لأنه طاعة لله ورسوله ﷺ، وحفاظاً على كيان الأمة من التفرق والاختلاف.

المبحث الثاني

الأدوار المؤثرة في وحدة الجماعة المسلمة

وفيه أربعة مطالب:

توطئة:

إن المتتبع لسنن الله ﷻ في مسألة توجيه الأمة إلى الوحدة والاجتماع، وعدم التفرق واتباع نصوص الكتاب والسنة على منهج سلف الأمة، ليظهر له جلياً فضل الله ورحمته بهذه الأمة، والأمر التي كان لها دور فعال في توجيه الأمة للاجتماع والوحدة، هو ما سنتناول بيانه في المطالب التالية:

المطلب الأول: دور المجدد للدين في توجيه الجماعة

للاجتماع والوحدة.

إن دور المجددين للدين في توجيه الجماعة للاجتماع والوحدة، هو ما بيّنه النبي ﷺ في حديث أبي هريرة رضي الله عنه لما قال: ((إن الله ﷻ يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها))^(٧).

فهذا التجديد^(٨) الوارد في هذا الحديث من أهم لوازمه: أنه يجمع

((ثلاثة لا يغفل عليهن قلب المؤمن^(١)): إخلاص العمل لله، والنصيحة لولاة الأمر، ولزوم جماعتهم، فإن دعوتهم تحيط من ورائهم))^(٢).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: ((اسمعوا وأطيعوا، وإن استعمل عليكم عبد حبشي، كان رأسه زبيبة))^(٣).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: ((من كره من أميره شيئاً فليصبر؛ فإنه من خرج من السلطان شبراً؛ مات ميتة جاهلية))^(٤).

ومع وضوح هذه النصوص وغيرها، إلا أن الخلل جاء من جهة عدم التسليم والإذعان لما اختاره الله ورسوله ﷺ للعباد؛ بسبب ما يعلق بالنفوس من هوى وأنفة وحسد وضغينة، أو تأويل ليس في محلّه، مصادم لقول المعصوم - عليه أفضل الصلاة والسلام -

وقد قال الصحابي الجليل عقبة بن عمرو رضي الله عنه معلّقاً على عدم التسليم لما اختاره الله بسبب هوى النفوس: "كنت رجلاً عزيز النفس، حمي الأنف، لا يستقل أحد مني شيئاً - سلطان ولا غيره-؛ فأصبحت أمرائي يُخَيِّرونني بين أن أصبر لهم على قبح وجهي ورغم أنفي، وبين أن آخذ سيفي فأضرب به فأدخل النار؛ فاخترت أن أصبر على قبح وجهي ورغم أنفي، ولا آخذ سيفي فأضرب فأدخل النار"^(٥).

فلا عجب من هذا الصحابي الأنصاري الذي حفظ وصية رسول

(١) قال ابن تيمية رحمه الله: "يقال: غلّى صدره فعَلَّ إذا كان ذا غشٍّ وضَعَن وحَقَّد، أي: قلب المسلم لا يغفل على هذه الخصال الثلاثة؛ فإن الله إذا كان يرضاهما لنا لم يكن قلب المؤمن الذي يُحِبُّ ما يُحِبُّه الله يغفل عليها ببغضها وبكرهاها؛ فيكون في قلبه عليها غلٌّ، بل يُحِبُّها قلب المؤمن ويرضاها". مجموع الفتاوى لابن تيمية (٨/٣٥).

(٢) أخرجه: ابن ماجه برقم (٣٠٥٦)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (٤٠٤).

(٣) أخرجه: البخاري برقم (٧١٤٢).

(٤) أخرجه: البخاري برقم (٧٠٥٣)، ومسلم برقم (١٨٤٩).

(٥) أخرجه: ابن أبي شيبة في مصنفه برقم (٣٧٦١٤).

(٦) أخرجه: البخاري برقم (٣٧٩٢)، ومسلم برقم (١٠٥٩).

(٧) أخرجه: أبو داود برقم (٤٢٩)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (٥٩٩).

(٨) المجددون ليس عندهم انحراف في العقيدة ولا مخالفين للسنة ولا عادلين عنها وليس كل من يدعي أنه مجدد يسلم له بعضهم لا شك أنه مسلم به مثل عمر بن عبد العزيز على رأس المائة الأولى والشافعي على رأس المائة الثانية ولكن لا يسلم كل من يدعي أنه من المجددين فإن بعض الناس يذكر مجددين على مشربه وعلى طريقته ولو كانوا من أهل البدع والانحراف

فالمقصود هنا: أنَّ المجدد يُعتبر من أبرز العوامل المؤثرة في توجيه الأمة للوحدة والاجتماع؛ لما وهبه الله ﷻ من الخصائص العلمية والخلقية المتقدم ذكرها.

المطلب الثاني: دور أولياء الأمور في توجيه الأمة إلى الوحدة والاجتماع.

إن الأصل في ولي أمر المسلمين أن يحافظ على جماعة المسلمين، وأن يحميها من كل ما هو موجب للفرقة والتحرُّب والانقسام.

وهذا الدور نابع من تأسيسه برسول الله ﷺ، وخلفائه الراشدين، ومن سار على سيرتهم ونهجهم إلى يوم الدين.

وقد كان النبي ﷺ حريصاً على جمع الأمة - حتى في المسائل المتعلقة بالآداب العامة - لما يترتب على ذلك من الخير الكثير والنفع العميم.

جاء في حديث جابر بن سمرّة رضي الله عنه أنَّ النبي ﷺ دخل المسجد يوماً فراهم متفرقين حللاً حللاً؛ فقال ﷺ: ((ما لي أراكم عزين))^(١)، أي: متفرقين.

ومثله ما ورد في حديث ثعلبة الحُشَنِي رضي الله عنه قال: كان الناس إذا نزلوا منزلاً تفرّقوا في الشّعاب والأودية؛ فقال رسول الله ﷺ: ((إن تفرّقكم في هذه الشّعاب والأودية، إنّما ذلكم من الشيطان))، فلم ينزل بعد ذلك منزلاً إلا انضمّ بعضهم إلى بعض، حتّى يقال: لو بسط عليهم ثوبٌ لعمّهم^(٢).

فالاخلاف شرٌّ للأمة، والفرقة هدم للمجتمع الإسلامي، ومُظنّة الاختراق الخارجي لها؛ لذلك حرص الخلفاء الراشدون، ومن سار على نهجهم من أولياء أمور المسلمين في كلّ زمانٍ ومكانٍ على حمل الأمة وتوجيهها إلى الاجتماع والتّوحد، وعدم التفرّق حتّى

الأمة على ما كان عليه الرّعيّل الأول من الاجتماع والتّوحد: اعتقاداً، وسلوكاً، ودعوةً.

فهو اصطفاء رباني يَخْصُ الله تعالى به بعض أفراد هذه الأمة، بإحياء ما اندثر من العمل بالكتاب والسنة، والأمر بمقتضاهما، وإماتة ما ظهر من البدع والمحدثات.

فالتجديد يتحقّق بالاجتماع على سبل المؤمنين، وصراط الله المستقيم، من قِبَل عالم أو أكثر، خصّه الله ﷻ بخصائص علمية وُخلّقية.

فالعلمية: من وفرة في العلم، ومعرفة بمواطن الخلل، وكذلك التجرد في المتابعة للنبي ﷺ، قولاً وعملاً، وسلوكاً.

وأما الخُلقية: فهي الرحمة، والشّفقة، والحلم، وصفاء في النفس، وكذلك طهارة القلب من الحقد والحسد والبغضاء، وسلامة اللسان من كلّ ما هو مَشيّن، وغير ذلك من الأخلاق النبيلة التي هي مأخوذة من مشكاة النبوة.

فتأسيه بالأخلاق النبوية أوجب له أن يجمع ولا يفرق، وييسر ولا ينفّر، وييسر ولا يعسر؛ فأصله الأول بعد توحيد الله ﷻ هو المحافظة على وَحْدَةِ الجماعة المسلمة، وهذا الأصل تجده ظاهراً لكلِّ مُجدّد، ويظهر هذا الأثر جلياً واضحاً بين أتباعه؛ فلا يمكن أن يكون بين أتباعه أيّ انقسام أو تفرق أو ازدراء أو انتقاص أبداً. وهذه الآثار التي يُورثها المجدد بين أتباعه، هي من أعظم الدلائل على كونه مُجدّداً لزمانه، وقد ظهر هذا جلياً في أئمة الدّعوة أتباع المجدد محمد بن عبد الوهاب رحمهم الله.

وكذلك يدخل في عموم هذا الحديث: أولياء الأمور؛ فأول المجددين للأمة الإسلامية بالاتفاق على رأس المائة الأولى: عمر بن عبد العزيز أمير المؤمنين، وخامس الخلفاء الراشدين رحمهم الله.

داود: للعباد، دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية.

(١) أخرجه: مسلم برقم (١١٩).

(٢) أخرجه: أبو داود برقم (٢٦٢٨)، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم (٢٣٥٢-١٠٥٣).

حتى ممن هم مشغولون بعلم الكلام فمثلاً أبو الأعلى المودودي له كتابه اسمه ((المجددون في الإسلام)) وجعل من المجددين الجويني والرازي والباقلاني فهؤلاء هم المجددون عنده ولم يذكر شيخ الإسلام ابن تيمية ولا ابن القيم ولا الشيخ محمد بن عبد الوهاب وهم من أعلام الهدى ومن أئمة الهدى وممن أظهر الله بهم الحق وقمع بهم البدع"، ينظر: شرح سنن أبي

ب: إزالة بدعةٍ موجبة للانقسام والاختلاف، كما فعل الملك عبد العزيز رحمه الله، حين ألغى المقامات بالمسجد الحرام.

فقد كان في المسجد الحرام أربع مقامات: المقام الحنفي، والمقام المالكي، والمقام الشافعي، والمقام الحنبلي، وكل مقام يؤمّه إمام، وفي كل صلاة يصلي أربعة أئمة، فالإمام الحنفي يصلي وراءه الأحناف، والشافعي يصلي وراءه الشافعية، والمالكي يصلي وراءه المالكية، والحنبلي يصلي وراءه الحنابلة، وقد يصلون في وقت واحد أربع جماعات؛ فجاء الملك عبد العزيز رحمه الله فألغى الأئمة وجعل لهم إماماً واحداً، وجعل الدّين واحداً يصلي الناس خلف إمام واحد^(٨).

ويعتدّ هذا العمل الجليل من أبلغ ما وُجّهت به الأمة للاجتماع والوحدة وعدم التفرق، وما زالت الأمة الإسلامية تعيشه وتجنّي ثماره إلى يومنا هذا.

وهذا ليس غريب عليه رحمه الله؛ فقد وجّه الأمة إلى دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله القائمة على أصل الدين، وتوحيد الله تعالى، واتباع صراط الله المستقيم.

فالمقصود هنا: أنّ ولاية الأمور لهم دور عظيم في توجيه الأمة للوحدة والاجتماع يؤجرون عليه، وهو من أجلّ المناقب التي تُخلّد ذكرهم على مداد من ذهب في سطور التاريخ؛ لأن توجيه الأمة لهذا الأصل العظيم فيه من الثواب والرفعة ما لا يعلم قدره إلا الله؛ وذلك لما مكّنهم الله تعالى به من سلطةٍ تنفيذية، فيها إقامة شرع الله، والسّير بالأمة على نهج السّلف الصالح.

المطلب الثالث: دور الرحمة والرفق في وحدة الجماعة المسلمة.

في مسائل قد تكون متعلقةً بالفروع أكثر من تعلقها بالأصول، كلّ ذلك خوفاً من التفرق والتنافر، وحمايةً لجسد الجماعة المسلمة من التقسيم ومظنة الاختراق.

فقد جمع أبو بكر رضي الله عنه الصحابة رضي الله عنهم على قتال المرتدين^(١)؛ فكان بذلك وحدةً واجتماع كلمة المسلمين.

وجمع عمر رضي الله عنه الناس على قارئ واحد؛ وذلك في صلاة التراويح لئلاّ يصرّحوا بآراءهم متفرقين^(٢).

وأيضاً: لئلاّ يصرّحوا بآراءهم مختلفين في مسألة فقهية، وهي حكم من باشر أهله دون أن ينزل؛ أرسل لعائشة رضي الله عنها؛ فقالت: "إذا جاوز الختان فقد وجب الغسل"؛ فقال عمر رضي الله عنه قوله الدّالة على التوجيه إلى الاجتماع ووحدة الصفّ وعدم التفرق: "لا أعلم أحداً فعله، ثم لم يغتسل إلا جعلته نكالا"^(٣)، وفي رواية: "لا أسمع برجلٍ فعل ذلك إلا أوجعته ضرباً"^(٤).

والآثار الواردة عن الفاروق رضي الله عنه أكثر من أن تحصي، وفيها ردُّ الناس إلى النصوص الشرعية وجمعهم عليها.

ومن الجمع فيما يتعلّق بمسائل الفروع: جمع عثمان رضي الله عنه الناس على قراءة واحدة؛ خشية التفرق والاختلاف^(٥).

وأحياناً يكون التوجيه للاجتماع وعدم التفرق متعلّقاً بتوحيد مصدر الفتوى، كما أمر أبو جعفر المنصور أن ينادى بـ: "ألا يفتي الناس في المدينة إلا مالك بن أنس، وابن أبي ذئب"^(٦).

وفي زمن بني أمية كانوا يأمرّون أن ينادى في الحج: "لا يفتي الناس إلا عطاء بن أبي رباح، فإن لم يكن عطاء فعبد الله بن أبي نجيع"^(٧).

وتارةً يكون توجيه الأمة إلى الاجتماع ووحدة الكلمة، وعدم التفرق

(١) أخرجه: البخاري برقم (٦٨٥٥)، ومسلم برقم (٣٢).

(٢) أخرجه: البخاري برقم (٢٠١٠).

(٣) شرح معاني الآثار للطحاوي (٥٨/١).

(٤) أخرجه: ابن أبي شيبة في مصنفه برقم (٩٤٧).

(٥) أخرجه: الطبراني في المعجم الكبير برقم (٤٩٠١)، والبيهقي في الكبرى برقم

(٢٣٧٥).

(٦) ينظر: كوثر المعاني الدّراري في كشف خبايا صحيح البخاري للشنقيطي (٢٠٣/١).

(٧) أخبار مكة للفاكهي (٣٣٣ / ٢)، والفقيه والمتفقه للخطيب البغدادي (٣٢٥/٢).

(٨) شرح تطهير الاعتقاد لعبد العزيز الراجحي (٣/٦).

كما قال تعالى: ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ

(١١) أخرجه: الترمذي برقم (٢٠١٣)، وقال: حسنٌ صحيح.

الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ [آل عمران: ١٥٩].

وقال تعالى لموسى وهارون لَمَّا أَرْسَلَهُمَا إِلَى فِرْعَوْنَ: ﴿فَقُولَا لَهُ، قَوْلًا لِّئِنَّا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ ﴿٤٤﴾ [طه: ٤٤].

لذلك كانت الرَّحمة من أصل دعوته ﷺ، كما قال تعالى: وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٧﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

وعلى هذا، لو أن رجلاً ملئ من علم السلف الصالح من أخص قدميه إلى مفرق رأسه، ثم هو لا يُحَقِّق هذين الأصلين في دعوته؛ فهو مغول هدم، ومنبر ضرار للجماعة المسلمة.

وقد أوصى النبي ﷺ أبا موسى الأشعري، ومعاذ بن جبل رضي الله عنهما عندما بعثهما إلى اليمن؛ فقال: ((يسرا ولا تعسرا، وبشرا ولا تنفرا، وتطوعا ولا تختلعا))^(١).

فأي دعوة لا تُحَقِّق خلق الرحمة وخلق الرفق؛ فهي دعوة لا حقيقة لها في الخارج، وإنما هي قضية كلية في الذهن لا يمكن أن يُتَصَوَّر وجودها في الخارج على الوجه الشرعي المعتبر.

فالداعي إذا اتخذ العنف منهجاً؛ صار كالمجنون الذي بيده عصي لا يمكن أن يسلم منه أحداً أبته!

فلاعتماداً على المتشابهات وترك هذه الأصول الأخلاقية المُحَكَّمَة التي تعتبر أصلاً عاماً في رسالته ﷺ، وطمسها والتعلُّقُ بأمور خاصة لها متعلقها الخاص، من أعظم أسباب الفرقة بين المسلمين.

قال شيخ الإسلام رحمه الله: "والأمر بالسُّنة والنهي عن البدعة، هو أمر بمعروف ونهي عن منكر، وهو من أفضل الأعمال الصالحة؛ فيجب أن يبتغي به وجه الله، وأن يكون مطابقاً للأمر، وفي الحديث: ((من أمر بالمعروف، ونهى عن المنكر؛ فينبغي أن يكون عليمًا بما يأمر به، حليماً فيما ينهى عنه))^(٢)؛ فالعلم قبل الأمر، والرفق مع الأمر، والحلم بعد الأمر؛ فإن لم يكن عالماً لم

يكن له أن يَقُفُوا ما ليس له به علم، وإن كان عالماً ولم يكن رفيقاً؛ كان كالطبيب الذي لا رفق فيه؛ فيغلظ على المريض فلا يقبل منه، وكالمؤدب الغليظ الذي لا يقبل منه الولد، وقد قال تعالى لموسى وهارون: ﴿فَقُولَا لَهُ، قَوْلًا لِّئِنَّا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ ﴿٤٤﴾ [طه: ٤٤]^(٣).

فالمقصود أن خلقي الرحمة والرفق، لهما دور عظيم في توجيه الأمة للوحدة والاجتماع.

المطلب الرابع: دور المجالس والهيئات العلمية في توجيه

الجماعة المسلمة للوحدة والإجماع.

إنَّ من أعظم العوامل المؤثرة في توجيه الأمة للوحدة والاجتماع: وجود مجالس وهيئات علمية يرجع لها المجتمع المسلم بكافة أفرادها، في قضاياهم الخاصة والعامة، وخاصة في المسائل المتعلقة بالنوازل والفتن، التي هي مَظَنَّةُ التفرُّق والاختلاف.

وهذه المجالس العلمية لا يكاد يخلو منها بلد من البلدان الإسلامية، بل حتَّى الجاليات الإسلامية في البلدان الغربية تتخذ هيئات علمية تصدر عنها الفتاوى؛ كل ذلك بغية توجيه المجتمع المسلم للوحدة والإجماع، ودرء الفرقة والاختلاف.

ولكي تُحَقِّق هذه الهيئات العلمية أهدافها في توجيه الأمة للوحدة والإجماع، لا بدَّ من نقائها من المعتقدات والأفكار المخالفة لمنهج السلف الصالح؛ لأن أصل الخلاف والفرقة في الجماعة المسلمة ناشئ عن مفارقة ما كان عليه رسول الله ﷺ، وأصحابه الكرام رضي الله عنهم.

فإذا كانت هذه الهيئات العلمية مُختلَفة المشارب والأفكار والآراء؛ كان ذلك من أعظم الدوافع للفرقة والاختلاف؛ حيث ستحاول كلُّ فرقة أو طائفة أن تتصدر زمام الأمور، وتُحَقِّق مكاسب شخصية وفئوية على حساب الطائفة الأخرى، بل على

(٣) منهاج السنة، لشيخ الإسلام ابن تيمية (٢٥٣/٥-٢٥٤).

(١) أخرجه: البخاري برقم (٣٠٣٨)، ومسلم برقم (٤٥٤٧).

(٢) لم أفد عليه بعد البحث عنه في كتب السنة.

وافقت عليها الأغلبية المطلقة من أعضائها، على أن لا يقل عدد الناظرين في الفتوى عن ثلاثة أعضاء، وإذا تساوت الأصوات يكون صوت الرئيس مرجحاً^(٢).

٢. أنها جمعت قانات من العلماء، الذين جمعوا بين العلم، والدين، والورع، والحرص على السنة.

٣. اللجنة مستقلة لا تتقيد بمذهب ولا اتباع شخص، بل يقودها الدليل الشرعي الصحيح.

٤. فتاوى اللجنة عامة، وليست خاصة بفرد أو مجال معين، بل تفتي في العقائد، والعبادات، والمعاملات، والجنايات، والسياسة، والاقتصاد، كما تفتي جميع فئات المسلمين: من المسؤولين والأفراد، في جميع الدول وجميع المستويات، كما تتنوع فيها أعضاء اللجنة من حيث التميز وقوة الاختصاص في بعض الفنون^(٣).

ومن خلال ما تقدم من دور هذه الهيئات العلمية في توجيه الجماعة المسلمة للوحدة والإجماع؛ فإنه يستلزم الوقوف على بعض الأمور التي هي بمثابة تعطيل لهذه الهيئات العلمية عن عملها الحقيقي في وحدة الجماعة المسلمة.

فهذه الهيئات العلمية لها دور كبير وعظيم في توجيه الأمة للوحدة والإجماع، إلا أن بعض المظاهر السلبية من خارج هذه الهيئات العلمية تقوم بتعطيل هذا الدور الذي يعد أصلاً أصيلاً من أصول الإسلام.

وذلك من خلال ما يصدر من فتاوى اجتهادية فردية، تصادم هذه الهيئات العلمية - خاصة فيما يتعلق بالنوازل والأحداث المستجدة والمسائل التي تعلقها بالجماعة أكثر من تعلقها

حساب أصول وثوابت الإسلام؛ فيتساوى المتبع لسلف الأمة بالمبتدع الضال، كالرافضي والصوفي الغالي، تحت مظلة الحكمة المذمومة^(١).

فهذه المجالس المختلطة بأصحاب الأفكار والمعتقدات الضالة، المخالفة لما كان عليه الرسول ﷺ وأصحابه الكرام، فيها تغيير للموازن، ووسيلة لطمس الحقائق، وإضلالاً لحقيقة التوحيد؛ لأن الميل القليل في جانب التوحيد يعتبر دحض مزلة ومهلكة.

فالمقصود: أن المعنى بتوجيه الأمة للوحدة والإجماع، هي تلك المجالس والهيئات العلمية المتبعة لأثار السلف الصالح القائمة على الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة.

وأبرز من يمثل هذا الدور في العصر الحاضر، هو هيئة كبار العلماء وما يتفرع منها، كمجلس اللجنة الدائمة للإفتاء؛ حيث حظي هذا المجلس الموقر بالثقة والقبول في أوساط العالم الإسلامي.

وقد أثبتت الوقائع والأحداث التي عصفت بالأمة الإسلامية على مدى حكمة ورصانة هذه اللجنة منذ نشأتها إلى يومنا الحاضر. فهذه اللجنة محطة أنظار العالم الإسلامي، وذلك لما تتميز به من معالم منهجية، جعلت لها منهجاً مسدداً بتوفيق الله، ومن أبرز هذه المعالم المنهجية ما يلي:

١. الرأي الجماعي الذي هو أقرب للصواب - غالباً - من الرأي الفردي، واللجنة لا تصدر الفتوى منها إلا إذا اشترك فيها ثلاثة على الأقل؛ فقد جاء في المادة الثامنة من اللائحة المرفقة بالأمر الملكي ما نصه: ((لا تصدر الفتاوى عن اللجنة الدائمة؛ إلا إذا

﴿وَلَوْلَا أَنْ تُبَنَّاتُكَ لَفَدَّ كِدْتُ تَرَكُّنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا﴾ (٧٤) إِذَا لَادَفْنَتُكَ ضَعْفَ الْحَيَاةِ وَضَعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا يَحْدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا (٧٥) ﴿[الإسراء: ٧٤ - ٧٥].

(٢) فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء (٥/١).

(٣) ينظر: منهج الفتوى للجنة الدائمة للبحوث العلمية (٣٠-٣١).

(١) فتحقيق البراءة يعتبر أصلاً لازماً من لوازم التوحيد، لم يحاب الله ﷻ به خير خلقه وخاتم رسله، بل توعده أشد الوعيد عندما كاد أن يهَمَّ بالميل أو الركون إلى شيء قليل، مما عليه أرباب المعتقدات الفاسدة التي تنقض أصل التوحيد. فالمقصود: أن الإخلال بما هو مسلم به في العقيدة الصحيحة المنزلة من عند الله تعالى لا يمكن التفريط به أو المساومة عليه أو تهيمشه أو = تجاهله قال تعالى:

بالأفراد - من تبديع وتضليل ونحوه، وبالتالي ينعكس أثره السلبي على وحدة الجماعة المسلمة التي هي أصل من أصول الدين. فالإنكار شيء، والبقاء على هذا الأصل العظيم شيء آخر، فإن الصّدق بالحق دائماً وأبداً متلازم مع الحكمة، فإن أبعاد هذه الحكمة المتعلقة بالجماعة المسلمة لا تدرك بالاجتهادات الفردية المصادمة للهيئات والمجالس العلمية التي يعدُّ فيها الرأي الجماعي أقرب للصواب - خاصة مع عدم وجود المجتهد المطلق -.

فعن عبيدة السلماني، قال: سَمِعْتُ عَلِيًّا رضي الله عنه يقول: «اجتمع رأيي ورأي عمر في أمهات الأولاد أن لا يُبْعَثَ» قال: «ثم رأيت بعد أن يُبْعَثَ»، قال عبيدة: فقلت له: فرأيك ورأي عمر في الجماعة أحبُّ إليَّ من رأيك وحدك في الفرقة - أو قال: في الفتنة - قال: فضحك عليٌّ^(١).

ومن أعظم الأصول التي كان عليه السلام يراعيها بعد توحيد الله ويعجل وإقامة فرائضه - أيُّما رعاية -: وحدة الجماعة وتقديمها على غيرها من المصالح الأخرى.

فعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: ((لولا خدائنا قومك بالكفر لنقضت الكعبة ولجعلتها على أساس إبراهيم؛ فإن قريشاً حين بنت استقصرت^(٢)، ولجعلتُ لها خلفاً^(٣))).

وعلى هذا الأصل العظيم دأب السلف الصالح وجعلوه من أعظم المصالح المتعلقة بالجماعة المسلمة؛ خوفاً من الخلاف، وطلباً لحفظ الأمة من الانقسام والتفرق.

فعن عبد الرحمن بن يزيد قال: صلى عثمان يميناً أربعاً فقال عبد الله: صليت مع النبي ﷺ ركعتين، ومع أبي بكر ركعتين، ومع

عمر ركعتين، ومع عثمان صدرأً من إمارته ثم أتمها، ثم تفرقت بكم الطرق، فلوددت أن لي من أربع ركعات ركعتين متقبلتين. قال: الأعمش: فحدثني معاوية بن قرة، عن أشياخه: أن عبد الله صلى أربعاً؛ فقليل له: عُبِتَ على عثمان ثم صليت أربعاً! قال: «الخلاف شر»^(٤).

فمراعاة الائتلاف أمر مرغوب؛ لتحقيق الإجماع والوحدة، وقد ضرب لنا أئمة المسلمين أروع الأمثلة في سلوك هذا المنهج الذي فيه مصالح عظيمة في تأليف القلوب، وسد باب الشرور على الجماعة الإسلامية، من تقديم المرجوح على الرَّاجح، كل ذلك تحقيقاً لهذا الأصل العظيم من جمع الكلمة ونبذ الفرقة والاختلاف.

فقد روي أن الإمام الشافعي رحمته الله ترك القنوت في صلاة الفجر لَمَّا صلى مع جماعة الحنفية في مسجد إمامهم^(٥).

وقال الإمام أحمد رحمته الله في الركعتين قبل المغرب: "رأيت الناس يكرونها فتركناها؛ فلا نسمع كم من جاهل يرى مثل هذه الأشياء رياءً، إنما هذه صيانة للعلم"^(٦).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: "ويسوغ أيضاً أن يترك الإنسان الأفضل لتأليف القلوب واجتماع الكلمة؛ خوفاً من التنفير"^(٧).

وقال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمته الله: "إذا أمَّ الرجل قوماً وهم يرون القنوت، أو يرون الجهر بالبسملة، وهو يرى غير ذلك، والأفضل ما رأى، فموافقتهم أحسن، ويصير المفضول هو الفاضل"^(٨).

وقال الشيخ محمد بن إبراهيم رحمته الله تعالى: "إذا كانت الفتاوى

(١) أخرجه: عبد الرزاق الصنعاني في مصنفه برقم (١٣٢٢٤).

(٢) أي: قصرت عن تمام بنائها واقتصرت على هذا القدر لقصور النفقة عن تمامها (خلفاً)، المراد به باب من خلفها.

ينظر: إكمال المعلم للقاضي عياض (٤/٤٢٧)، وشرح النووي على صحيح مسلم (٨٩/٩).

(٣) أخرجه: مسلم برقم (٣٩٨).

(٤) أخرجه: أبو داود برقم (١٩٦٠).

(٥) تسليط الأضواء على ما وقع في الجهاد من أخطاء (ص ٣٠).

(٦) صيد الخاطر لابن الجوزي (ص ٢٤٥)، والآداب الشرعية لابن مفلح (٢٢٥/٢).

(٧) مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية (٤٣٦/٢٢).

(٨) الدرر السنية في الأجوبة النجدية لمجموعة من علماء نجد (١٢/٤).

الإسلام والمسلمين.

قال البراء بن عازب رضي الله عنه: "لقد رأيت ثلاثمائة من أصحاب بدرٍ ما فيهم من أحدٍ، إلا وهو يُحِبُّ أن يكفيه صاحبه الفتيا"^(٣). وقال ابن أبي ليلي: "أدركت عشرين ومائة من الأنصار من أصحاب رسول الله ﷺ يُسأل أحدهم عن المسألة؛ فيردها هذا إلى هذا، وهذا إلى هذا، حتى ترجع إلى الأول"^(٤)، وفي رواية: "ما من أحد يحدث بحديث أو يسأل عنه"^(٥)، وفي رواية: "عن شيء إلا ود أن أخاه كفاه إياه ولا يستفتي في شيء إلا ود أن أخاه كفاه الفتيا"^(٦).

وكان يقال: من أجاب في مسألة فينبغي من قبل أن يجيب فيها أن يعرض نفسه على الجنة أو النار، وكيف يكون خلاصه في الآخرة ثم يجيب فيها، فإذا كان أصحاب رسول الله ﷺ تَصْعُبُ عليهم المسائل ولا يُجيب أحدهم في مسألة حتى يأخذ رأي صاحبه -مع ما رزقوا من السداد والتوفيق، مع الطهارة- فكيف بنا ونحن الذين غَطَّت الخطايا والذنوب قلوبنا! ^(٧).

ففتح باب الاجتهادات الفردية خارج هذه الهيئات، في المسائل المتعلقة بوحدة الجماعة المسلمة، كالنوازل، والفتن، والتضليل، والتبديع، تحت أي شعار أو مسمى، هو فتح باب الشرور على الجماعة المسلمة، ومظنة اختراقها لكل مترئص سوء للإسلام وأهله، وتشجيع على الانقسام والفرقة.

فالواجب ترك المجال لهذه الهيئات العلمية، وعدم مصادمتها بالفتاوى الفردية، خاصة في المسائل المتعلقة بوحدة الجماعة المسلمة.

كما يلاحظ أن هذه الظواهر السلبية يُمكن أن تتغلب عليها الجماعة المسلمة بوجود تواصلٍ دائم بين أعضاء هذه الهيئات والمجالس العلمية، وبين العلماء والدعاة المؤثرين في المجتمع،

في البلد مما يحتملها الدليل باجتهادٍ سائغٍ من ذي أهليةٍ معتبرة؛ فلا يجوز التشويش على العامة بمخالفة من يُقْتَدَى به في البلد لاجتهادٍ يخالفه فيه غيره؛ وعلى هذا فينبغي مراعاة مذاهب الدول والبلدان وما استقر فيها من عمل، وإذا كان من الاجتهاد السائغ؛ فلا يصح أن يأتي من هو خارج عنهم فيُشْغِب على أهلها وعلمائها بفتاوى تثير البلبلة والتشويش؛ فعلماء البلد أعلم بأحوال أهلها، وأعرف بما ينفعهم ويضرهم"^(١).

فالتشويش على هذه الهيئات العلمية الشرعية المُنَصَّبَة من قبل ولي الأمر - حتى لو كان في المسائل المتعلقة بالفروع - فإن مفسدته تتعدى إلى هذه الأصل العظيم الذي كان السلف الصالح أشدَّ تعظيمًا له.

وكم تجد من مسألة -أصلها في الفروع- وقع فيها من الخلاف ما أدَّى إلى التنازع في الجماعة المسلمة بسبب الاجتهادات الفردية التي هي مظنة الزلل؛ والصواب المقرون بالحكمة في هذه الهيئات التي تحمل فتاويها الطابع الجماعي أقرب منه من الفتاوى الفردية التي تشق -في مضمونها- عصى الجماعة المسلمة، حتى في بعض المسائل الفرعية، وهذا أمر ظاهر في هذه الأزمنة، خاصة مع وجود من يترئص بالإسلام وأهله، بنشر هذه الفتاوى الشاذة بوسائل الإعلام على نطاق واسع؛ لإذكاء الفرقة بين المسلمين.

كما أن السلف الصالح حذروا من زلة العالم، وجعلوها من أعظم الأمور التي تهدم الدنيا وتفرق المسلمين، فإنها ربما ظهرت فتطير في الناس في كلٍ مطار فيعدونها ديناً وهي ضد الدنيا^(٢)، وكل ذلك على حساب وحدة الجماعة المسلمة؛ ولذلك فإن ترك المجال لهذه الهيئات العلمية الشرعية ليس فيه تقليل من شأن القامات العلمية الذين هم خارج هذه الهيئات، بقدر ما هو مُحَافَظَة على أصلٍ من أصول الإسلام، والذي في تحقيقه عزّة

(١) ينظر: فتاوى ورسائل الشيخ محمد بن إبراهيم (١٥٨/٧).

(٢) ينظر: الاعتصام للشاطبي (٣٢١/٣).

(٣) صفة الفتوى والمفتي والمستفتي لابن حمدان (ص ٧).

(٤) المصدر السابق.

(٥) المصدر السابق.

(٦) المصدر السابق.

(٧) ينظر: فتاوى ورسائل الشيخ محمد بن إبراهيم (١٥٨/٧).

الخاتمة

أولاً: النتائج:

من أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال هذا البحث ما يلي:

١. أن لزوم الجماعة وعدم التفرق مما أمر به الشارع، وجعله مقصداً من مقاصده.
 ٢. وجود وثبوت عوامل خارجية، تعتبر من السنن الإلهية، في توجيه الأمة إلى الوحدة والاجتماع.
 ٣. أن ولاية الأمور والمجددين ودور المجالس والهيئات العلمية من العوامل المؤثرة في توجيه الجماعة المسلمة للوحدة والاجتماع.
- ثانياً: التوصيات:

١. التوصية بالبحوث الموسعة في موضوع وحدة الأمة واجتماعها.
٢. التوصية بانعقاد الندوات والمؤتمرات، يتداول من خلالها البحث عن حلول ناجعة لأجل اجتماع الأمة ووحدةها.

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة، أحمد بن أبي بكر البوصيري (المتوفى: ٨٤٠هـ)، تحقيق: دار المشكاة للبحث العلمي، دار الوطن للنشر - الرياض، ١٤٢٠هـ.
- أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه، محمد بن إسحاق الفاكهي (المتوفى: ٢٧٢هـ)، المحقق: د. عبد الملك عبد الله دهيش، دار خضر - بيروت،

- من خلال مجلسٍ علميٍّ دوريٍّ ليس غايته إصدار الفتاوى، بقدر ما هو إعادة تدوير الأصول العامة المتعلقة بمنهج السلف الصالح، ويتحقق من خلال هذا المجلس الأهداف التالية:
- ١. تلقيح الأفهام، وإزالة الشُّبُهات والشكوك والأوهام، من خلال عرض ودراسة القضايا والمسائل المتعلقة بالنوازل، على ضوء الكتاب والسنة، بفهم سلف الأمة.
- ٢. الحرص على أواصر المحبة والإخاء، وهما من أهم الأصول في تحقيق الوحدة والاجتماع.
- ٣. تحقيق عمليٍّ لمبدأ المرجعية الدينية الموحدة، التي هي الأساس الأول في وحدة الجماعة المسلمة؛ فإن اتَّخَذَ مرجعيات متعددة، ذات آراء مختلفة وأهواء متفاوتة، من أعظم الأسباب الموجبة للفرقة والاختلاف.
- ٤. تحصين المجتمع من التحزُّب والانقسام، وكلِّ ما هو موجبٌ لشقِّ صفِّ المسلمين.
- ٥. رسم منهجٍ عام للمجتمع، قائم على الكتاب والسنة ونهج سلف الأمة، بعيد عن المشاعر العاطفية الحماسية.
- ٦. تصحيح مسار بعض الدعاة والعلماء، بأسلوب راقٍ وحكيم، بعيداً عن الأساليب المنفرة التي تغلب مفايدها على مصالحها، فيما يتعلق بوحدة الجماعة المسلمة، وخاصة أن هذه الأساليب المنفرة قد يمتطيها من لا يريد خيراً للإسلام وأهله.
- ٧. قطع الطريق لكل حاقِدٍ ومتآمر، يسعى في بثِّ سُموومِ العداوة والبغضاء بين المسلمين، تحت أيِّ شعار من الشعارات، التي ظاهرها الرحمة، وباطنها الكيد والمكر بالمسلمين.
- ٨. رسالة عالمية واضحة المعالم، قائمة على أن تحقيق مراد الله ورسوله ﷺ لا يكون إلا بتقديم الأدلة الشرعية على الآراء العقلية، وأنَّ أيَّ مجلس من المجالس لا يُحقِّق هذا الأصل العظيم، لا يمثل الإسلام والمسلمين.
- ٩. إثراء المكتبات والمجتمع بالأبحاث العلمية التأصيلية المتعلقة بوحدة الأمة.

- ١٤١٤هـ. عبد المحسن بن حمد العباد البدر، مطبعة سفير - الرياض، ١٤٢٤هـ.
- الجرح والتعديل، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس الشهير بابن أبي حاتم (المتوفى: ٣٢٧هـ)، طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، دار إحياء التراث العربي، حيدر آباد الدكن - بيروت، ١٣٧١هـ.
- الدرر السنية في الأجوبة النجدية، علماء نجد الأعلام، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.
- سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها، محمد ناصر الدين الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، مكتبة المعارف - الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.
- السنة، أحمد بن عمرو بن الضحّاك أبو بكر بن أبي عاصم (المتوفى: ٢٨٧هـ)، المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٠هـ.
- سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني (المتوفى: ٢٧٣هـ)، دار الرسالة العالمية، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.
- سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث السجستاني (المتوفى: ٢٧٥هـ)، المكتبة العصرية - بيروت، بدون تاريخ.
- سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة الترمذي (المتوفى: ٢٧٩هـ)، شركة ومكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٣٩٥هـ.
- السنن الكبرى، أحمد بن الحسين البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، المحقق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب
- ١٤١٤هـ. - الأدب المفرد، محمد بن إسماعيل البخاري (المتوفى: ٢٥٦هـ)، تحقيق: سمير الزهيري، مكتبة المعارف - الرياض، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
- إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، محمد ناصر الدين الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
- الاعتصام، إبراهيم بن موسى الشاطبي (المتوفى: ٧٩٠هـ)، تحقيق: سليم بن عيد الهلالي، دار ابن عفان - السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
- إغاثة اللفهان من مصائد الشيطان، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، دار المعرفة - بيروت، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.
- إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض بن موسى اليحصبي (المتوفى: ٥٤٤هـ)، المحقق: د. يحيى إسماعيل، دار الوفاء - مصر، ١٤١٩هـ.
- البدر المنير في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في الشرح الكبير، أبو حفص عمر بن عليّ، ابن الملّين (المتوفى: ٨٠٤هـ)، دار الهجرة للنشر والتوزيع - الرياض، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.
- تاريخ دمشق، علي بن الحسن بن هبة الله ابن عساكر (المتوفى: ٥٧١هـ)، دار الفكر - بيروت، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
- تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد محمد بن إسماعيل الصنعاني (المتوفى: ١١٨٢هـ)، المحقق:

العلمية، ١٤٢٤هـ.

- السنن الكبرى، أحمد بن شعيب النسائي (المتوفى: ٣٠٣هـ)، حققه وخرج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.

- سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

- شرح معاني الآثار، أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي (المتوفى: ٣٢١هـ)، دار عالم الكتب - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

- الشريعة، محمد بن الحسين بن عبد الله أبو بكر الآجري (المتوفى: ٣٦٠هـ)، دار الوطن - الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

- صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري (المتوفى: ٢٥٦هـ)، ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي، دار طوق النجاة، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

- صحيح الجامع الصغير وزيادته، محمد ناصر الدين الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، المكتب الإسلامي - بيروت، بدون تاريخ.

- صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، دار إحياء التراث العربي - بيروت، بدون تاريخ.

- صفة الفتوى والمفتي والمستفتي، أبو عبد الله أحمد بن حمدان الحراني الحنبلي (المتوفى: ٦٩٥هـ)، المحقق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب

الإسلامي - بيروت، ١٣٩٧هـ.

- الصواعق المرسلة في الدر على الجهمية والمعتلة، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، دار العاصمة - الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.

- صيد الخاطر، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، عناية: حسن المساحي سويدان، دار القلم - دمشق، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

- عارضة الأحوزي شرح جامع الترمذي، محمد بن عبد الله أبو بكر ابن العربي المالكي (المتوفى: ٥٤٣هـ)، بدون تاريخ.

- فتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ، محمد بن إبراهيم آل الشيخ (المتوفى: ١٣٨٩هـ)، جمع وترتيب: محمد بن عبد الرحمن بن القاسم، مطبعة الحكومة - مكة المكرمة، ١٣٩٩هـ.

- فتاوى اللجنة الدائمة، اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء بالمملكة العربية السعودية، جمع وترتيب: أحمد بن عبد الرزاق الدويش، المحرر، رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء - الرياض.

- الفقيه والمتفقه، أحمد بن علي أبو بكر الخطيب البغدادي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، المحقق: عادل بن يوسف الغرازي، دار ابن الجوزي - السعودية، ١٤٢١هـ.

- كوثر المعاني الدراري في كشف حبايا صحيح البخاري الشنقيطي، محمد الخضر الجكني الشنقيطي (المتوفى: ١٣٥٤هـ)، مؤسسة الرسالة - بيروت، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

- لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي ابن منظور الإفريقي (المتوفى: ٧١١هـ)، دار صادر - بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٤هـ.
- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي (المتوفى: ٨٠٧هـ)، المحقق: حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي - القاهرة، ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م.
- مجموع الفتاوى، شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى: ٧٢٨هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن القاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف - المدينة المنورة، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.
- مسند أبي يعلى، أحمد بن علي بن المثنى أبو يعلى الموصلي (المتوفى: ٣٠٧هـ)، المحقق: حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث - ، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
- المسند، أحمد بن محمد بن حنبل (المتوفى: ٢٤١هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر، دار الحديث - القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.
- المصنف في الأحاديث والآثار، عبد الله بن محمد بن إبراهيم أبو بكر بن أبي شيبة (المتوفى: ٢٣٥هـ)، مكتبة الرشد - الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ.
- المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، تنسيق: د. سعد بن ناصر الشثري، دار العاصمة، دار الغيث - السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.
- المعجم الكبير، سليمان بن أحمد أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ)، مكتبة ابن تيمية - القاهرة، الطبعة الثانية، بدون تاريخ.
- منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى: ٧٢٨هـ)، المحقق: محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - الرياض، ١٤٠٦هـ.
- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ١٣٩٢هـ.

Factors affecting the necessity of the group and the lack of separation

Fahad Aiyed Hamed Aljuhani
Associate Professor- Albaha
University -Faculty of Arts and Humanities-
Mikhwah- Islamic Studies- Specialization: Islamic belief

Abstract. this research means mentioning the factors affecting the Muslim group's guiding unity and meeting, circumventing the rulers of matters, avoiding separation and disputing the righteous people, and the overall goal of the research can be to create an practical, practical aspect that has a positive effect in achieving the meeting and away from separation, and showing the seriousness of the jurisprudence The individual causing the rows of the nation, and the researcher used in this research the descriptive and analytical approach, and the most important results of the research: that the group must not be separated from what the street has ordered, and make it a destination of the purposes of its law, and prove the impact of external factors in directing the nation to unity and reject the division, And a They are recommendations: recommending holding seminars and conferences through which to search for effective solutions that achieve the nation, its unity, and its integrity.

Key words: causes - influencing - unity - division